مطرانية بني مزار
و البهنسا

نبذات روحية هادئة
(١١٧)

حُبٌّ غير مشروط

الأب أنتوني م. كونيارس
المعرب : ي . م

مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا أثناسيوس
أسقف بني مزار والبهنسا

نيافة الحبر الجليل الأنبا أثناسيوس
أسقف بني مزار والبهنسا

حُبٌّ غير مشروط

يعتبر البعض أنَّ مثل الابن الضال هو أعظم الأمثلة قاطبة التي تكلَّم عنها الرب يسوع. إنَّهم يعتبرونه الإنجيل موضوعًا بإيجاز في قشرة جوزة. لا يوجد موضع في هذا المثل نرى فيه أبًا غضوبًا، وعلى سبيل المثال، فقد أراد الابن عند عودته أن يقول لأبيه: «**اجعلني كأحد أجرائك**» (لو١٥: ١٩)، ولكن الأب لم يسمح له أن ينطقها، ولكن بمداخلة رائعة، فإنَّه يفتح ذراعيه ويقع على عنقه ويُقبِّله، ويُظهِر كل معاني البنوَّة: الحُلَّة الأولى، الحذاء، بل وأيضًا الخاتم الذي هو علامة ضمان وعهد السُّلطَة، وذَبْح العِجل المُسمَّن علامة الفرح بعيد العودة. كل ما حدث للابن كان بسبب توبته، ورغبته في العودة للأب سائلاً الغفران. وبدون استحقاق، ولكن بسبب محبَّة الآب أُعيد الابن إلى درجة البنوَّة بأمرٍ واحدٍ من أبيه. لم يكن هناك غضب أو حنق من جهة الأب، ولم تكن هناك صرخة غاضبة من الأب يقول فيها: "مَن الذي سيدفع كل الفواتير والديون التي جلبتها

على نفسك؟" كل خطايا الابن محاها الأب ببساطة، و: «**كلُّ شيءٍ قد صار جديدًا**». عودة الابن وتوبته نجّياه، ليس من غضب الأب، ولكن من نتائج اختياره الشّخصي.

غضب الأخ الأكبر

كان تفاعل الأخ الأكبر ظاهرًا، فقد كان: «**في الحقل**» عندما عاد أخوه الأصغر، وكان في الظاهر يعمل لأبيه، لا بسبب حبٍّ أو عرفانٍ بالجميل، ولكن بسبب أنانية، إذ كان ينتظر ما سيناله عوضًا من مكافأة. وعندما علم أنَّ الحفل قد أُقيم للاحتفال بعودة أخيه الأصغر، كان ردَّ فعله هو الغضب لا الفرح عند رؤيته لأخيه عائدًا. ولكن ما الذي جعله يغضب؟ لقد كان حُب أبوه. كان الابن الأكبر غاضبًا للغاية لدرجة أنَّه: «**غضب ولم يُرِد أن يدخل**». لقد أغلق على نفسه خارج الحفل بسبب أنانيَّته وغضبه. لقد وضع نفسه في: "نار جهنَّم" بسبب كراهيَّته لأخيه، وعدم غفرانه وكبريائه وحقده وتوقه إلى الانتقام وكبريائه وتشامخه، فكان موقفه الداخلي يقول: "أنا أفضل من أخي". ومع ذلك، فقد: «**خرج أبوه يطلبه**»، وذهب إلى الحقل ليناشده وليلتمس منه العودة. أمَّا الابن الأكبر، فقد رفض أن يتعرَّف

عليه أو يتناقش معه كأب له، فلم يُخاطبه كأب مثلما فعل الابن الأصغر، بل وأنكر أن يكون هذا العائد من الكورة البعيدة هو أخوه، فقال: «**لمَّا جاء ابنُك هذا**». كنَّا نشعر أنَّه من المتوقَّع أن يغضب الأب من كلام ابنه الأكبر ويثور عليه، ولكنَّه لم يفعل هذا، ولكن بحبٍّ غير مشروط أيضًا، وهو مدركٌ جدًّا خطيَّة ابنه الأكبر، قال له: «**يا بُنيَّ أنتَ معي في كلِّ حين، وكل ما لي فهو لك**». ورغم أنَّ الابن الأكبر رفض أن يدعو أباه: "أبي"، فإنَّنا نرى أنَّ الأب يدعوه: ابني". إنَّ محبَّة الأب غير المحدودة ولا المشروطة لم تنزع عنه محبَّته ولا ملكوته. ما جعل الابن الأكبر خارج الحفل و: "الملكوت" كان كراهيَّته لأخيه وغضبه منه. اختبر الابنان نفس حُب الأب غير المشروط، وأدان هذا الحُب كليهما. كان من الممكن أن يغضب الأب على الاثنين بسبب عدم طاعتهما وأنانيَّتهما، ولكنَّه تعامل معهما بحبٍّ تام لا قيد فيه ولا شرط، وهكذا كان رحمته وعطفه وشفقته عليهما. نفس نوعيَّة الحُب، أعادت واحدًا من الابنين وقسَّت الآخر. كشف الرب يسوع وأعلن أنَّه لا توجد فيه أي نزعات شرِّيرة أو عدوانيَّة أو غاضبة أو استبداديَّة، لأنَّ مراحمه وحبَّه وغفرانه لا يُسبَر غورها.

حقيقة مراحم الله يُعبَّر عنها في قصَّة الابن الضال. تقول إحدى الصلوات:

"آتي إليكَ مثلما أتاك الابن الضال، أيُّها الإله الرحيم. لقد أضعتُ كل حياتي في كورة بعيدة، وبدَّدتُ كل ممتلكاتي التي أعطيتني إيَّاها. أيُّها الآب، اقبل توبتي أيُّها الرب الإله وارحمني".

قصَّة الابن الضال الذي ترك بيته وأضاع ثروة أبيه في عيش مُسرِف في الخلاعة، عائشًا مع الخنازير، ثمَّ تذكُّره لأبيه وتوبته وعودته إلى أبيه الذي قبله فرحًا واحتضنه بعد أن انتظره طويلاً هي من أجمل القصص التي تُعبِّر عن رحمة الله. احتضان الأب لابنه وإقامته حفلاً له، بعدما ألبسه الخدَّام الحُلَّة الأولى، وجعلوا خاتمًا في يده وحذاءً في رجليه، وذبحه للعجل المُسمَّن لهي من القصص العظيمة التي تُعبِّر عن محبَّة الله العمليَّة.

لقد أحبَّ هذا الأب ابنه الراجع إليه من الكورة البعيدة، دون أن يضع عليه شروطًا لقبوله في البيت، ودون أن يفرض عليه قيودًا لعدم خروجه من البيت مرَّة أخرى، ودون أن يفرض عليه التزامات

معيَّنة يضمن بها ولاءه لأبيه، ويضمن عدم تكرار ما سبق أن عمله؛ ولكنَّه أظهر لابنه حبًّا أبويًّا فائقًا بلا قيودٍ ولا شروط.

حُبٌّ غير مشروط:

قال هاري Harry لأعزِّ أصدقائه: "سأعطيك هذا الكمان الأثري". فسأله صديقه: "بلا شروط؟" فقال له هاري: "بالتأكيد، بلا أي قيود".

للأسف، كم من مرَّات نضع رباطات وقيودًا لأشياء كثيرة طيِّبة نصنعها.

وللأسف أيضًا، قد تكون الرَّغبة في التحكُّم في تصرُّفات الآخَرين مختبئة تحت اسم المحبَّة. الوقت الذي قد نترفَّق فيه ثمَّ نضع قيودًا وشروطًا ورباطات للمحبَّة، عندئذ يمتنع أن تكون هذه محبَّة. المحبَّة هي دائمًا عطيَّة إرادة حُرَّة بلا قيود، فهي كما يقول القدِّيس بولس: «**لتصر كل أموركم في محبَّة (حقيقيَّة)**» (١كو١٦: ١٤).

المحبَّة التي تفرض قيودًا هي محبَّة مشروطة، وهذه تخنق؛ بينما المحبَّة غير المشروطة، التي بلا قيود تُحرِّر.

قصّة:

قالت امرأة لصديقتها شاكية زوجها إنّه لا يُعبِّر عن حبِّه لهـا إلاّ إذا وجد المنـزل في أكمل رونق. أقرَّ الزوج أنَّ هذا يحدث فعلاً، لأنّه مـن حقِّه أن يتوقّع أن يجد المنـزل في أفضل حال بعد عودته من عملٍ شاق طول اليوم. اعترضت الزوجة علىٍ هذا الكلام وقالـت: "أحتـاج أن أعرف أنَّ زوجي يحبُّني سواء كان المنـزل نظيفًا أم لا، أحتاج أن يملأ هذا الشُّعور جوانب حياتي ليعطيني القوَّة لأستطيع أن أنظِّف المنـزل".

كانت هذه المرأة على صواب، فالحب غير المشروط، الحُب الذي بلا قيود، هو فقط الدافع لنا لنعمل أقصى ما في طاقتنا.

لا نستحق:

أعرف كثيرين يجاهدون بلا هدوء ليشعروا أنَّهـم يـستحقُّون حب الله، ويظنُّون أنَّهم إن لم يجاهدوا ليكونوا مستحقِّين، فلـن يحبَّهم الله، ولكن من ذا الذي يظن أنَّه يستحقُّ محبَّة الله؟ لا أحد. محبَّة الله هي عطيَّة مجَّانيَّة كالهواء، ولا يوجد ما يمكن أن نعملـه لنستحق هذا الحب. يقول الأب جون بوويـل John Powell في كتابه: "سر البقاء في الحب":

"الله الذي أعرفه سيقول لمن يجاهد لينال الاستحقاق الذي يجعله مستحقًّا لحب الله: "عُد بأفكارك هذه إلى الخلف. أنتَ تحاول أن تتغيَّر لتنال حبِّي، ولكن هذا لا يتم بهذه الطريقة، فقد أعطيتُك حبِّي أولاً لتستطيع أن تتغيَّر؛ فإن قبلتَ حبِّي كهبة مجَّانية، فهذا يجعلك قادرًا على النمو. يجب عليك أن تعرف أنَّني أحبُّك أكنتَ صالحًا أم رديئًا، تعمل أقصى ما يمكنك أن تعمله أم لا، وحبِّي هو الذي سيعطيكَ القوَّة لتعمل أقصى ما يمكنك"".

المثال العظيم:

أعظم مثال طبعًا لهذا النوع من الحُب ــ الحُب غير المشروط ــ كما رأينا في مَثَل الابن الضال هو حُب الرب يسوع. الله في المسيح أحبَّ غير المحبوبين، أحبَّ غير المستحقِّين، أحبَّ خطاة العالم، أحبَّ الزناة، أحبَّ اللصوص، أحبَّ المرذولين والذين هم خارج السياجات، لأنَّه: «**لم يأتِ ليدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة، ولا يحتاج الأصحَّاء إلى طبيب بل المرضى**» (مت٩: ١٢و١٣). مع أنَّ الخطاة كانوا غير مستحقِّين لرحمته، إلاَّ أنَّه أحبَّهم، شجَّعهم على التوبة، غفر لهم وسامحهم، دعاهم إلى ملء الحياة.

قصة:

صمَّم الابن أن يتركَ بيت أبيه ويذهب للحريَّة دون القيود التي تفرضها عليه الحياة الرتيبة في بيت أبيه.

حاول الأب أن يثنيه عن قراره؛ ولكنَّه فشل ـ للأسف ـ وخرج الابن إلى لا رجعة، إلاَّ أنَّ كلمات أبيه له كانت: "أنتَ ابني مهما كنت، ولسوف أنتظرك متى رجعت".

عاث الابن فسادًا في حياته الجديدة، فَعَل كما راق له، تحلَّل من كلِّ القيود، انحدر من خطيَّة إلى أخرى، جرَّب كل أنواع الشرور، وكان ظنُّه إنَّه يستطيع أن يكفَّ في الوقت الذي يريده، وإنَّه حرٌّ في التوقُّف متى شاء، ولكن هيهات!

اكتشف الابن أنَّه أصبح عبدًا للخطيَّة، عبدًا لنزواته وشهواته، وأنَّها قيَّدته بقيود حديديَّة،وهو لا يستطيع أبدًا أن يتوقَّف عن إدمانه لها واستمراره فيها.

ما كان أمام هذا الابن إلاَّ حلٌّ واحد وحيد، ألا هو الرجوع إلى بيت أبيه، ولكن كيف يكون هذا بعد فعلته السوداء؟ وأخذ يتساءل في

نفسه: هل ممكن أن يقبلني أبي؟ ماذا سيكون رد فعله وهو يراني شاحب الوجه مصفر اليد والأسنان من الإدمان؟ هل سيُرحِب بي؟

صحيحٌ كان قد سمع الابنُ من أبيه كلمات محبَّة عند رحيله، ولكن أَمَا سيجعلها الزمن تفتُر، فما الذي يضمن له أنَّ أباه لا زال كما هو بعد تلك الغيبة التي طالت وطالت؟

وأخيرًا قرَّ قراره أن يُرسِل خطابًا لأبيه يُعلمه فيه بأنَّه سيعود في اليوم الفلاني والساعة الفلانيَّة في القطار الذي سيمرُّ أمام قريته... وإن وافق أبوه على رجوعه، فليضع شارة حمراء أعلى منزلهم علامة قبوله، وإلاَّ فقد عزم الابن على الإقدام على الانتحار.

ركب الابن القطار وهو يرتجف، ومئاتٌ من الأسئلة يتطارحها، وأخذ يهذي ويبكي.

ما إنْ اقترب القطار من المحطَّة، وأطلَّ الابن من النافذة إلاَّ وقد رأى كمًّا من اللافتات الضخمة تطلُّ عليه من بين البيوت والأشجار، مكتوبٌ على بعضها: "أهلاً بكَ يا ابني في بيتك".

ما إنْ وقف القطار على الرصيف، إلاَّ وقد أخذ الأب والأم

يمطران ابنهما بالدموع والقبلات، فقد كان ابنهما: «**ميِّتًا فعاش، وكان ضالاً فوُجِد**».

قسَّم شخصٌ ما المحبَّة إلى أربعة أصناف:

محبَّة مُرتبطة بسببٍ ما Because: فمثلاً أقول: "إنَّني أُحبُّك لأنَّك لطيف".

محبَّة مُرتبطة بحالٍ ما When: فمثلاً أقول: "سأُحبُّك متى صرتَ صالحًا، أو مطيعًا.

محبَّة مُرتبطة بشرطٍ ما If. فمثلاً أقول: "سأُحبُّك إذا لم تؤذِني أو تُسيء إليَّ، أو إذا بلغتَ إلى القياس الذي أريده منك".

محبَّة إلهيَّة: فالرب لا يقول أحبُّك بسبب كذا، أو متى حدث هذا، أو إن أكملتَ ذاك؛ بل بالأحرى يقول: "أحبُّكَ باستمرار، بلا حدود لزمن أو شروط لحالة. أحبُّك كما أنت. الله يحبُّ الخاطئ ويكره الخطيَّة.

كان هذا النوع من الحب هو الذي استقبل به الأب ابنه الضال مُرحِّبًا به، هذا الذي أضاع كل موارده وممتلكاته وميراثه وأمواله في

الخلاعة والعيش المُسرِف، بل وأساء أيضًا إلى سُمعة أبيه، فلابد أنَّه وُجِد من يقول أنَّ الأب أساء تربية ابنه!

قصَّة الابن الضال تُوصِّل لنا قصَّة حب الله غير المشروط لكلٍّ واحد منَّا. محبَّة الرب يسوع لنا وهو مُعلَّقٌ على الصليب بعدما صلبناه هي أعظم وصف وأثمن صورة رسمها الله لحبِّه غير المشروط، ورسمها بدمه الإلهي.

يُرسَم الرب يسوع على صليب ويداه ممدودتان كما لو كانتا تحتضنان جميع غير المستحقين، جميع خطاة الأرض، جميع المرذولين وغير المحسوبين، جميع الضعفاء والمجروحين والمسجونين والمربوطين برباطات الشياطين في هذا العالم، وفوق الصليب يوجد عنوان غير مرئي مكتوب عليه: "هذا ما أقصده عندما أقول لكم: "إنَّني أُحبُّكم"".

هذا حقًا هو حب الله غير المشروط! هذا الحب العظيم والغفران غير المحدود ورجاء الفردوس الذي ما إنْ نتقدَّم ونقبله، إلاَّ وتفيض عيوننا دموعًا عرفانًا بجميل مَن دعانا من الظُّلمة إلى نوره العجيب، ولا نجد إلاَّ أن نبادله حبًّا بحب.

فرقٌ كبير بين الحب المشروط والحُب غير المشروط، فالأوَّل حبٌّ ينتقي ويختار، حُب يُبعِد ويستثني، حبٌّ يستعبد الشَّخص ويستحوذ عليه، وكثير من حُبِّنا البشري اليوم يقع تحت هذا النوع.

هل خطيَّتنا تُقلِّل من حب الله لنا؟

قد يعترض البعض على حبِّ الله غير المشروط ويقولون: أما تُقلِّل الخطيَّة من حب الله لنا؟ تذكَّر بطرس الذي أنكر السيِّد ثلاث مرَّات. لقد أخطأ بطرس إلى أعماقه، ولكن هل خطيَّته هذه وقفت سدًّا أو حاجزًا أو جدارًا فاصلاً بينه وبين الرب يسوع؟ بالتأكيد لا! فالرب بعدما قام من الأموات أرسل رسالة خصِّيصًا إلى بطرس مع المريمات: «**اذهبنَ وقلنَ لتلاميذه ولبطرس...**» (مر١٦: ٧)، وعلى بحر طبريَّة كانت رسالة الرب الخاصَّة إلى بطرس: «**ارعَ خرافي**» (يو٢١: ١٥).

حبٌ ورثناه من طفولتنا:

كثيرون يشتكون من أنَّ الحُب المشروط تربَّينا عليه في بيوتنا، عندما كان أبوانا يقولان لنا إنَّهما سيُحبَّاننا إن كنَّا هادئين، وصالحين،

وناجحين... إلى آخرِ هذه القائمة. وبالعكس إنَّهما لن يحبَّاننا إن كنَّا أردياء. هذا الذي تربَّينا عليه هو حقًّا ما يتدخَّل ويجعل من الصُّعوبة بمكان أن نقبل حب الله غير المشروط ونصدِّقه، ونظل في الحدس والتَّفكير أنَّ الله لن يقبلنا إلاَّ إذا كنَّا كاملين. ولأنَّنا لسنا هكذا، ولن نكون هكذا، فالكمال لله وحده، نجد أنفسنا نحيا في الفكر المُرعِب أنَّ الله لا يحبُّنا ولن يقبلنا، وعن هذا تتولَّد كل أفكار الخوف والفشل واليأس.

يكتب رئيس الأساقفة أنتوني بلوم Archbishop Anthony Bloom عن الحُب المشروط فيقول:

"أَمَا يحدث كثيرًا أنَّ ضحايا حبِّنا يجترئون أن يقولوا لنا متوسِّلين: "من فضلك أحببني، ولكن اتركني حُرًّا". لا تجعلني أسير حبك، فتتخذ قرارات حياتي لتشكِّلني كيفما تشاء أنت. إن حدث ولم تحبَّني، سأُحقِّق شخصيَّتي الحُرَّة". والآن أليس هذا ما يحدث كثيرًا بين الأصدقاء؛ وبين الوالدين والأبناء، وبين الأزواج والزوجات؟"

وبكلمات أخرى، إن كنتُ أحبُّ النـــاس فقـــط إن كـــانوا يُسرُّونني، وأوصِّل لهم حبِّي فقط في تلك الأوقات، فلن يـــشعروا أبدًا بالحب النقي، الحب الحقيقي، الحب غير المشروط، لأنَّه بهذه الصِّفات سيكون مشروطًا!

العكس من ذلك:

الحب المشروط يدين؛ الحب غير المشروط لا يـــدين. الحـــب المشروط يبحث في أن يستغل وأن يُناوِر؛ أمَّا الحب غير المشروط فهو يُخلِّص ويفدي. الحب المشروط يستحوذ؛ أمَّا الحـــب غـــير المشروط فهو يعمل في أن يُطلِق الإمكانيَّات الموجـــودة في كـــلِّ شخص. الحب المشروط يجتهد في أن يُفرِغ الآخَر في قالب مُعَيَّن، الحب غير المشروط يُطلِق الآخَر حرًّا ليبلغ ما خلقه الله عليه. الحب

كثيرون، أمَّا الحب غير المشروط فلا يتبعه إلاَّ الله والمولودون من الله.

عَهَدَ الله بحبِّه قديمًا للشعب اليهودي في العهد القديم، وعندما خالفوا وصاياه ظلَّ يحبُّهم، ولكنَّ الله عبَّر عن هذا الحب تارة بالتأديب وتارة بالإرشاد لعلَّهم يعودون عن غيِّهم ويهتدون إلى الطريق الصواب.

ليت حبَّنا يكون حبًّا صادقًا مثل حب الله؛ حبًّا لا يُقيِّد الآخرين، حبًّا ليس استحواذيًّا، حبًّا لا يحكم ولا يدين، حبًّا ليس استغلاليًّا أو نفعيًّا، حبًّا للعطاء لا للأخذ، فالمحبَّة الحقيقيَّة لا تطلب ما لنفسها، وهي ليست مُقلِقة ولا مُزعِجة ولا سريعة الغضب، ولا تشكو ولا تتذمَّر، ولا تحسد ولا تحقد، ولا تتصيَّد الأخطاء؛

≺ صلاة ≻

يا ربَّنا المحبوب،
أنتَ قيَّدتَ ذاتك على الصليب كي تُحرِّرنا.

وعندما أعطيتنا إرادة حُرَّة،
كنتَ تعلم أنَّك لم توجِد قيودًا تربطنا بك.

نحن يارب لسنا إنسانًا آليًّا،
فنحن أولادك.

نحن نحبُّك بحرِّيتنا،
ونحن نخدمك بحرِّيتنا،
ونحن نطيعك بحرِّيتنا،
فأعنَّا من فضلك،
كي نعطي حبَّك للآخَرين بلا قيودٍ تُقيِّدهم.

لك كل المجد إلى الأبد.

آمين.

هـذه النبـذات

هي أجزاء من موضوعات كُتُبنا التى نُتَرجمها لك بلغة سهلة، وقد استحسنّا أن ننشرها في نبذات صغيرة تنفع الشباب كطعام روحي مُشبع، وتُضيء النفس بالمسيح وتعاليمه البنّاءة. الرب يجعل من هذه الكلمات حياة روحية نامية متأصلة فينا بالمسيح.

إن شعرت بخطاياك اترك النبذة وارفع قلبك إليه فتستنير بمعرفته.

الـرب يبـارك في كـل من له تعب بصلوات قداسة أبينا المعظم البابا شنوده الثالث ، أدامه المسيح لنا وللكنيسة، ولإلهنا المجد إلى الأبد آمين.

بنعمة الله
الأنبا أثناسيوس
أسقف بني مزار والبهنسا

تطلب هذه النبذات من :
مطرانية بني مزار - المنيا : ٠٨٦/٧٨٣٠٠٣٣ - ٠١٢٢٥٣٧٨٧٠٧
مكتبة نيو شيرى - سوهاج : ٠٩٣/٢٣٣٩١٦٨
مكتبة المحبة - شبرا : ٠٢/٢٥٧٥٨٢٦٢
مجلة مدارس الأحد - شبرا : ٠٢/٢٢٠٢٩٧٤٤
مجلة مرقص : ٠٢/٢٥٧٧٠٦١٤
ومن المكتبات المسيحية والكنائس بالقاهرة والأقاليم

سعر النسخة ٥٠ قرشاً